

عليها فيزول الاستعمار من الدنيا بأسرها لانها هي أم الاستعمار وهي التي علمت فرنسا وايطاليا عن الاستعمار ، بعد ان تعلمته من هولندا وورثت مستعمرات المانيا «(٢١)» .

الموقف ذاته وبقته من دول الاستعمار كلها :  
فرنسا التي تحظى العالم العربي المغربي في تونس والجزائر ومراكش ، وأهم مناطق العالم العربي الشرقي كسورية ولبنان ، وبمناسبة سقوط باريس عدد ما ارتكبه فرنسا من فظائع في هذه البلاد « .. المستعمرون دائما هم هم ، تبطهرهم النعمة وتصلحهم النقمة ولا ينفع معهم الا سحقهم ومحقتهم الى ابد الابدين »(٢٢) .

أما أمريكا « .. ثالثة الاثاني دولة الدولارات والماكينات واسهم الشركات اليهودية .. التي تطلعت على السياسة الدولية أخيرا بفضل ( الدولار والمدفع ) ، والتي ظهر من سياستها وتصرفاتها واغابها انها لا تعرف ديننا الا القوة ، وانها لا تنصر الا الظلم والعدوان لاننا لم نرها في جانب الحق مرة واحدة .. ولا لحظة مطلقا ، منذ عرفناها في الحرب العظمى حتى هذه الساعة ، ويكفي احتضانها لليهود ، او احتضان اليهود لها وسيطرتهم عليها ، وعلى رئيسها ، وعلى حكومتها وتوابها وعلى عقول شعبها وضمائر أهلها »(٢٣) .

وكان الظاهر يتعاطف مع كل الشعوب المضطهدة اذ « تكفي نظرة واحدة الى خارطة الشرق الاتصلي حتى تأخذ الدهشة من ظاهرة مهينة للشرق كله ، .. حيث تتحكم بريطانيا وأمريكا وفرنسا وروسيا وهولندا والبرتغال .. فهذه الدول الطفيلية الكبيرة منها والحخيرة تأتي من كل انحاء العالم لتستعبد ذلك الشرق فتسلب وتسرقت وتقتل وتذبح .. »(٢٤) .

لم يكن غريبا اذن ان ينحاز الظاهر بعواطفه الى المعسكر الثالثي اذ ان « كل شيء يهون في نظرنا الابقاء الانكليز » ، ولذلك حين بلغه وهو في السجن انه متهم بالاتصال بالطلليان لتشويه سمعته قال « .. ولكن ماذا علي لو اتصلت بالطلليان والالمان ليساعدونا على الخلاص من الانكليز ؟ الم يقل المستر تشرشل انسه مستعد لان يستعين بالشيطان ليخلص انكلترا من الالمان ؟ » ، وبينما كانت الدنيا غارقة في مصائب الحرب « وكان انتصار الالمان على الانكليز برا وبحرا وجوا يشرح صدورنا

حبسناه هاج اصحابه علينا ، وان تركناه هيج الرأي العام علينا » .

وقد اصيب الطاهر بمرض في السجن فنقل الى احد المستشفيات واستطاع ان يهرب وتكر واختفى احد عشر شهرا علمت الوزارة جهدها للاهتمام اليه فعمجرت حتى ظهر فجأة في رئاسة مجلس الوزراء اثناء اجتماع النحاس بالصحفيين في مارس ١٩٤٢ . وقد سطر خلال الهرب ، كما يقول(١٩) « .. مذكرات وملحوظات وخواطر وملاحظات متناثرة وبعض الشجون والشؤون والتجارب والمطالعات والتعليقات من سياسية وتاريخية وادبية وبوليسية ونظرات في الاستعمار واحوال الامم المظلومة » أخرجها جميعا في كتاب ظلام السجن بعد ان اضاف لها ملاحظات وخواطر جديدة صادفته حتى طبع الكتاب نهائيا ١٩٥١ بصورة تجعل القارئ « يرافقه في تلك الفترة من الحياة كأنه يستعرض فصلا سينمائيا متعاقب الحوادث ، متلاحق الصور والمناظر .. » وهو لا يزعم انه يسطر كتابا في العلم او في الهندسة .

في كتابه يحمل بريطانيه مسؤولية ما حل بفلسطين ففلسطين ما كانت معادية لبريطانيه ، ولكن بريطانيه استولت عليها بالحديد والنفدر وادعت انها وصية تريد ان تمدن البلاد والعرب لهم العذر في بعض بريطانيه وتمنيهم انكسارها اثناء الحرب ، ما ذلك الا لانهم جاءوا بالصهيونيين اليهود الى فلسطين لجعلها « دولة يهودية تحت رعايتها لتحمي لها قناة السويس من الشمال ويحرس لها الشعب اليهودي ارض فلسطين لتكون محطة لطياراتها .. » . وأطلقت اخبار تدفق البيود وتعجب « اذ لا عمل ليؤلا الانكليز حكومة وشعبا الا خدمة اليهود وحماية اليهود » ، والغريب ان الانكليز في خلال الحرب وفي الايام التي كانوا ينوزمون فيها امام الالمان كانت بريطانيه لا تستر في عطفها على اليهود ولا تكتم سوء نيتها نحو العرب واصرارها على اعطاء فلسطين لليهود واقامة الدولة اليهودية فيها(٢٥) لذلك كان يمني نفسه بان انكسار انكلترا في الحرب سيحل مشكلة اليهود وسيهربون من فلسطين قبل خروج الانكليز منها ، بل حتى انه « لا يمكن للعالم ان يعيش بسلام الا اذا ارغبت دولة بريطانيا على الانكماش في جزيرتها ورنع سيطرتها عن الدنيا التي تسلط